مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
المجلد1 ، العدد1، (جانفي 2013)
ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

تجارة الرقيق الأوربية وأثرها على شعوب غرب القارة الإفريقية
بين القرنين (15- 19م)

عطية عبد الكامل
أستاذ مساعد بجامعة المسيلة- قسم التاريخ- الجزائر.
البريد الإلكتروني : abdelkamel18@yahoo.fr

يعد موضوع الرق وتجارته في إفريقيا من أشد الموضوعات حساسية وأكثرها مدعاة لاختلاف الرأي في التاريخ الإفريقي، وعلى الرغم من أنه كتب عن تجارة الرق والرقيق الكثير إلا أن معظمهم ما كتب بحاجة إلى نظرة جديدة مع التسليم في الوقت نفسه بأن استخلاص الحقائق المجردة ووضعها في قالب موضوعي مهمة شاقة إن لم نقل متعسرة. بالإضافة إلى ذلك فإن هذا الموضوع لا يزال يثير حساسية خاصة لدى الإفريقيين ويزيد من تعقيد هذه الصورة أن بعض الإفريقيين استرقوا بعضهم بعض وأسهموا بالوساطة في تجارة الرقيق سواء كان ذلك للتاجر العربي أو الأوربي(1).

تعتبر الفترة التي سادت فيها تجارة الرقيق(2) من أسوء الفترات في تاريخ البشرية،إذ تمثلت فيها أبشع معاملة لإنسان نحو أخيه الإنسان الذي كرمه ربه وفضله على سائر المخلوقات.فكلما ذكرت تجارة الرقيق كلما تداعت أمامنا الصور البشعة للإنسانية التي أتخذها الإنسان كي يجعل منها تجارة مربحة،ضاربا عرض الحائط كل القيم والأخلاق.فكيف يجوز لهؤلاء التجار الجشعين أن يحرموا الأطفال من أمهاتهم وآبائهم وكيف يجوز لهم أن يسرقوا الأولاد كقطعان الماشية أمام أبائهم من الشيوخ الذين لا حول ولا قول لهم،فالإنسان في هذه العملية يسخر إلى جانب الحيوان فاقد الإنسانية(3).

وانطلاقا من هذا المدخل سنحاول من خلال هذه الدراسة المتواضعة الإجابة عن بعض التساؤلات التي تتبادر إلى ذهن القارئ :

- ما هي الدول الأوربية التي كان لها السبق في بدء هذا النشاط التجاري المشئوم.وما هي الدوافع الكامنة وراء ذلك؟.
- كيف كانت يوميات الرقيق أثناء شحنهم ونقلهم إلى أوربا والعالم الجديد؟.
- ما هو موقف الكنسية الأوربية من هذه التجارة ؟ ومن هي القوى المستفيدة منها؟.كيف كانت تأثيرها على شعوب غرب القارة الإفريقية ماضيا وحاضرا؟.

لم تكن للأوربيين قديما علاقة بإفريقيا إلا عن طريق البحر الأبيض المتوسط،وكانوا يطمحون للاقتراب من مصادر السلع التي تستجلب من الشمال إفريقيا من بلاد السودان(4)،كما كانوا يتطلعون إلى اكتشاف طريق أقصر للوصول

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

إلى الهند.وبدافع الحاجة هذه انطلق البحارة المستكشفون يمخرون المحيط الأطلسي،فاكتشفوا منذ القرن15م الأرض التي كانوا يجهلونها، وأقاموا لهم مراكز تجارية موسمية ثم قارة على سواحل موريتانيا وإفريقيا الغربية(5).

وكان من أهم الدوافع التي خرج لها البرتغاليون من بلادهم هي الحصول على الذهب الذي يتواجد في غرب إفريقيا عند غينيا وساحل الذهب(6)، وعندما اصطدموا بالإفريقيين قبل منتصف القرن الخامس عشر.استولوا على رقيق منهم حملوه إلى لشبونة واكتشفوا أن هذه تجارة مربحة فربطوا بين رحلاتهم الاستكشافية والحصول على الرق حتى وصلوا إلى الهند،وكانوا يسخرونا هذا الرق في دفع مراكبهم الشراعية الضخمة واستطاعوا أن يعودا بأعداد كبيرة منهم إلى أوربا وقد أقاموا على طول الساحل الغربي قلاعا ومراكز لتزويد السفن وأخذ الرقيق،وهكذا كانت البرتغال من أول من أسهم في جلب الرقيق إلى أوربا وانتقلت بعد ذلك العدوى إلى بقية الدول الأوربية الأخرى(7).

وفي سنة 1454م شرع البابا "نيقولا الخامسNicola5 " سيطرة البرتغاليين على السواحل الإفريقية، مباركا بذلك تجارة الرقيق التي لم تلبث إسبانيا أن بدأت تنافس عليها فتدخل البابا "الأسكندر السادس Alexandre6" لحسم الصراع برسم خط على الخريطة يوزع مناطق النفوذ بين القوتين، وبمباركة الكنيسة استقطبت تجارة الرقيق اهتمام الدول الأوربية الأخرى وتكونت شركات انجليزية وفرنسية للنخاسة ترعاها الحكومة(8).

والبرتغاليون هم الذين بدأو أول حلقة في سلسلة تجارة الرقيق بهذه الصورة الجديدة بين إفريقيا وأوربا حين قام "نينو تريستاو" البحار البرتغالي Nuno Tristuoفي عام 1441م بنقل أول شحنة من الرقيق الإفريقي إلى أوربا، وكان بذلك بناءا على إرشادات الأمير هنري وتشجيعه(9).

وقد اتسمت تجارة الرقيق بعد ذلك باتساع النطاق الكشوفات الجغرافية وتطورات أساليبها و أهدافها لمسايرة حركة النشاط الاستعماري الأوربي وأهدافه حتى قيل أنه في وقت قصير بعد ممارسة البرتغال لهذه التجارة أصبح عدد الرقيق المفقودين إلى مدينة لشبونة يزيد على عشر سكانها في ذلك الوقت(10).

ومنذ أوائل القرن السادس كان الرقيق قد اخذ يشحن إلى أمريكا والى كوبا ففي عام 1521م،وقد بلغ عدد العبيد الذين بيعوا لهذا الغرض في سوق لشبونة سنة 1539 م ب10.000 عبد ومن ثم لم تستطع الجهود البرتغالية العادية أن تسد الطلبات العادية المتزايدة للرقيق وبدا استغلال الأسلحة النارية للقنص(11).

لقد كان الرقيق أغلى سلعة اكتشفتها القوى الأوربية الاستعمارية في إفريقيا وأصبحت هذه السلعة الأساس بنيت عليه الدول الاستعمارية اقتصادها ورخائها وكان الأوربي لا يخاطر بالتوغل إلى الداخل،فاكتفى بالبقاء في المراكز الساحلة حتى يسلم له العبيد عن طريق الوسطاء ثم يتم نقلهم إلى العالم الجديد،وقد تألفت

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

شركات برتغالية بقصد الاتجار في الرقيق،وحصلت هذه الشركات على مراسم من البلاط الملكي البرتغالي باحتكار التجارة في مناطق محدودة من الساحل(12).

وقد بالغ البرتغاليون في ارتكاب الجرائم ضد السكان الأفارقة فاتخذوا محضيات إفريقية لإشباع شهواتهم البهيمية.وعذبوا الشيوخ والأطفال.وحتى رجال الدين المسيحي،شاركوا في ارتكاب هذه الجرائم ومارسوا الخطف والسلب واعتدوا على حرمات النساء باسم المسيحية(13).

أما الانجليز فكانت سفنهم محملة بالرقيق تقوم برحلة مثلثة فتنقل المصنوعات الإنجليزية لغرب إفريقيا ،حيث تستبدل بالرقيق وبلغ عدد ما و صل بين ستني (1690-1706م) إلى الممتلكات البريطانية من الرقيق ما يقارب من مليونيين ونصف مليون عبد،وإذا رفنا أن النظام الذي اتبع ترتب عليه أن ما يصل حيا من هذه السلعة لا يصل إلى النصف، وإذ علمنا أن ما و صل المستعمرات الأوربية كلها في قرن واحد قدرب40 مليون إفريقي أدركنا أن القارة الإفريقية استنزفت ما يقرب من 80 مليون من أبنائها، في هذا الميدان و البعض يقدر هذا العدد بما لا يقل عن مائة مليون. (14).

ولا ينسى التاريخ ما قام به الانجليز من جهود في تجارة الرقيق منذ القرن 16م.حيث كان القرصان الانجليزي "سرجون هوكنز Sirjohn Haukins"أول بريطاني ينادى بجدوى تجارة الرقيق إلى تحقيق أرباحا تفوق الأرباح التجار في الذهب أو العاج،وقد بدا مغامراته في هذا المجال عندما رسا في سيراليون لأول مرة في 8 ماي 1502م ولاسرى 400 إفريقي وباعهم للأسبان في العالم الجديد، وذلك مقابل 25 جنيها للإفريقي وتبعه في هذا المضمار عدد أخر من التجار الانجليز(15).

ومنذ عام 1640م بدا الانجليز يصدرون الرقيق إلى مستعمراتهم ومستعمرات الدول الأخرى في الأمريكيتين،ولما كانت هذه التجارة تدر أرباحا طائلة فقد تحول عدد كبير من الانجليز إلى تجار رقيق حتى أن عدد الرقيق الذين حصل عليهم الانجليز في سنة 1700م بلغ حوالي 15000 عبد تم نقلهم عبر الأطلسي وزاد هذا العدد إلى 40.000 في سنة 1800م ، وبلغ عدد السفن البريطانية التي تعمل بنقل العبيد حوالي 192 سفينة بالإضافة إلى أربعة " للنكستر"،وكانت سعة كل من هذه السفن 500 عبد، وصارت منطقة سيراليون من أهم المناطق الرئيسية للرقيق في القارة الإفريقية،وكان تجار الرقيق يقيمون مخازن وحظائر لحفظ الرقيق المخطوفين وكانت تلك المخازن تقام داخل قلاع وصل عددها في سنة 1741م حوالي 40 قلعة،ولكل من البرتغاليين والدنماركيين أربع قلاع ، أما الفرنسيون فكانت لهم ثلاث قلاع(16).

وحين دخل الهولنديون في هذا المجال استطاعوا لفترة أن ينافسوا البرتغال ،بل استطاعت سفنهم أن تستولي على المحطات البرتغالية وتحل محل البرتغال في هذا النشاط لفترة،وبعد أن استعادت البرتغال حصونها من الهولنديين نجح الهولنديين في

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

إنشاء محطات خاصة بهم فكان لهم في الساحل الغربي للقارة حوالي عشر محطات ظلت تعمل في تجارة الرقيق حتى عام 1872م رغم صدور القرارات بمنع هذه التجارة﴿17﴾.

وفي سنة 1652م أقامت السويد محطة للاتجار بالرقيق ،واتبعها بمحطة ثانية،وذلك قبل أن تنجح الدنمارك في سنة 1657م في طردها من المحطتين ،وأضافت الدنمارك خمس محطات أخرى استمرت قائمة حتى عام 1850م.

أما بروسيا فقد قامت بناء ثلاث محطات في سنة 1615م لكنها تخلت عنها بعد أربعة عشرة عام من إنشائها.

وكانت لفرنسا مراكز لتجارة الرقيق في جزر (جوارGorée) القريبة من دكار، وكانت تقوم بالنشاط التجاري في هذه الجزر وغيرها من المراكز التي اتخذها الفرنسيون لتجارة الرقيق في غرب إفريقيا ﴿18﴾.

وظهرت شركات عدة منها شركة السنغال الملكية للتجارة لإدارة هذه المراكز التجارية﴿19﴾ التي ذاع صيتها في تجارة الرقيق، وحققت أرباحا طائلة من هذه التجارة،كما وضعت الأساس لنفوذ فرنسا في السنغال الذي انتهى بتكوين ما عرف بإفريقيا الغربية الفرنسية(Afrique Occidental Francaise) ﴿20﴾.

وإذ كان أمر اصطياد العبيد في المراحل الأولى لم يكن يمثل صعوبة كبيرة بالنسبة للمستعمرين الأوربيين، وخاصة وان هذه العملية كانت تقع بالقرب من المراكز التجارية لهم ، فإن عملية التجارة في الرقيق قد أخذت مع بعض الوقت ومع زيادة الطلب على هذه السلعة للآدمية أبعادا ضخمة، واستخدمت فيها إمكانيات كبيرة﴿21﴾.

وكان عامل تفوق الأوربيين في الأسلحة يسمح لهم بعرض أنفسهم على الأفراد والمجتمعات الإفريقية بسهولة.ولم يكن في وسع السيوف والحراب والأسهم أن تقف في مدة طويلة في مواجهة الأسلحة النارية والبنادق،حتى وان كانت جديدة العهد في ذلك الوقت.وكان هذا التفوق الأوربي يسمح للعناصر المستعمرة أنفسها باصطياد الأهالي الذين يدفعهم سؤ حظهم إلى الاقتراب من محطاتهم .ثم اخذ الأوربي يستعين ببعض الأهالي التابعين له، او الموالين له،ويستخدمهم في مساعدته في هذه العملية﴿22﴾.

ولعل الحروب بين قبائل "الأشانتي" وقبائل " الفانتي" التي أشعلت نيرانها لفترة غير قصيرة في منطقة ساحل الذهب ، والدور الذي لعبه الفرنسيون والانجليز في إذكاء نار هذه الصراع الدموي ليسر لهم الحصول على حاجاتهم من الرقيق ويعطي مثلا لهذا التطور الذي طرأ على وسائل ممارسة هذه التجارة نتيجة حاجة الأوربيين الماسة للرقيق الإفريقي ﴿23﴾

وفي هذا الصدد ولشدة الحاجة للرقيق الإفريقي ، وقف وزير المستعمرات البريطانية" اللورد دار ثموث" متحديا المنادين بالحد من هذه التجارة البشرية

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

بقوله:« إننا لا نسمح بأي حال بعرقلة هذا النشاط الذي ثبت انه عظيم الفائدة لشعبنا»(24).

وفي كيفية التعامل مع هذه السلعة من حيث التقدير النقدي . يقسم الذكور إلى أربعة أقسام في السعر من 50 فرنك إلى غاية 6 فرنك ،وأما الإناث فيقسمون إلى ثلاثة أقسام للبيع من 1.250 فرنك الى4.500 فرنك(25)،ويتم تحديد سعر العبيد حسب المكان المشترى منه العبد(26).

ليس من السهل علينا ضبط التعداد الحقيقي للعبيد الذين يتم نقلهم إلى ما وراء البحار، والسبب يرجع إلى نسبة الوفيات العالية وسطهم، فيتراوح معد ل الوفيات من 7 و26% ،و طول مدة الرحلة التي تستغرق من 5 إلى 8 أسابيع ،ناهيك عن الأمراض والقتل،والرمي في عرض البحار في حالة عدم قدرة السفينة على الشحن (27).

أما عن الأماكن التي كان يصدر منها العبيد فيعتبر الشريط الساحلي لغرب إفريقيا أهم المناطق لتوريد العبيد.ففي العقد التاسع من القرن الثامن عشر،عندما كانت تجارة العبيد عير الأطلسي في ذروتها،كانت الصادرات السنوية من مختلف قطاعات الساحل على النحو الآتي:

- سنغامبيا:2200
- سيراليون:2000
- ساحل الذهب :10.000
- ساحل الرقيق ابنين:12500
- دلتا النيجر إلى الكمرون:22000.

ومن هذه الأرقام يمكن أن نرى أن المنطقة الممتدة من ساحل الذهب إلى الكمرون كانت المسئولة عن 82%من جميع الرقيق الذين تم شحنهم من إفريقيا الغربية في ذلك الوقت(28).

ورغم تفاوت عدد الرقيق(29).من قرن إلى قرن فقد نقلت كل من بريطانيا والبرتغال نحو ثلث الشحنات،ونقلت هولندا نحو18٪ وفرنسا نحو12٪،بينما كان نصيب الولايات المتحدةالأمريكية5٪ وكانت السيطرة للبرتغال على تجارة القرنين الخامس والسادس عشر،ولهولندا خلال ثلاثة أرباع القرن السابع عشر،ولبريطانيا في الفترة بين1808،1672م بعد ذلك كانت السيادة لسفن الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل وأسبانيا وفرنسا(30).

أما أماكن وصول الرقيق الأفارقة الذين تم تصديرهم عبر المحيط خلال 1870/1451م يمكن حصرها في المناطق التالية:

- العالم القديم (أوربا والجزر الإفريقية) :175000.
- أمريكا الشمالية والوسطى :651000.
- جزر الكاريبي:4040.000.
- أمريكا الجنوبية:4700.000.

المنارة للاستشارات

ومن خلال هذه الأرقام يتأكد لنا مرة أخرى أن العالم الجديد نال حصة الأسد في استقبال الرقيق الأفارقة،ليتم توظيفهم في مزارع قصب السكر والمحاصيل الأخرى(31).

ان صائدي العبيد كانوا يقيدون العبيد بالسلاسل بعضهم ببعض ويسيرون بهم مئات الأميال ويدمغونهم بالأختام المحماة مثل الماشية لتميزهم باسم الملك لهم،وينقلونهم عبر البحار في سفن العبيد المرعبة،يكدسونهم فيها في ظروف من الجوع والقسوة التي لا توصف،ثم يبيعونهم للسادة المستعمرين مثل الماشية(32).

ويصف "ماك ماستر" الصور المزعجة لسفينة العبيد قائلا:« عندما تغرب الشمس ينزل الجميع إلى الأسفل وكانت المساحة المتاحة لكل واحد يرقد فيها كانت ستة أقدام طولا وستة عشرة بوصة عرضا،وكانوا ينامون على الأرض،وكان السوط يستخدم لإجبارهم على الالتصاق بعضهم البعض في أضيق المساحة،وكان من المستحيل لأي منهم أن يتقلب ذات اليمين أو ذات الشمال إلا يعاني كل الصف من الفوضى والاضطراب،ولكن مأساة الليل لا تساوي شيئا بالنسبة لمآسي اليوم العاصف لأنهم كانوا يحيطون المراكب بالأقمشة السميكة فتمنع الهواء وتصير الأرض مبللة غارقة بالعرق،وكانت صيحات الألم ترتفع من أفواه الزنوج وتسمع في أعلى السفينة وكان من الأمور العادية أن يقذف بأجساد الموتى في البحر،ولم يكن من النادر أن تبلغ الوفيات على ظهر السفينة ما يصل إلى ثلث العبيد فيها. وأحيانا ما كان قراصنة السفينة بسب خشيتهم من نقص المياه أو بسب إحساسهم بالخطر من الأسر،كانوا يقذفون بالحمولة البشرية الحية من أعلى ظهرها لتأكلها اسماك القرش،وعلى الرغم من كل هذه الخسائر فإن أرباح تجارة العبيد كانت تصل إلى الألف في المائة في الرحلة الواحدة»(33).

إن الانحطاط الآدمي في سعيه وراء الربح لم يغرق إلى هذا هذه الأعماق المتدنية مثل ما حدث في تجارة الرقيق(34).

وقد ذكر "بلاك W.o.Blake " في كتابه " تاريخ العبودية" History of Slavry"الصادر سنة1857م .أنه في شان موت العبيد في الطريق فان" مستر فالكون" بريدج Falkon Bridge" ذكر أنه في ثلاث رحلات اشترى 1100 عبد وفقد منهم 191،وان "تروتر " Trotter" ذكر انه في رحلة واحدة كان هناك6000 عبدوفقد70 منهم،وذكر ميلر " Miller" انه في رحلة واحدة كان هناك 490 وفقد 180،و"إليسون Elison"ذكر أنه في ثلاث رحلات اشترى 850 وفقد 365،و" مورلي" Morley"ذكر أنه في أربع رحلات اشترى حوالي 1325 وفقد313 وكلاكتون "Claxton" ذكر انه في رحلتين كان هناك 250 وفقد132، وكل هؤلاء كانوا من تجار العبيد الانجليز(35).

وقد وصلت تجارة الانجليز مثلا في الرقيق الإفريقي إلى أعلى ذروة لها قبيل حرب الاستقلال الأمريكية،وتعاونت في هذه لتجارة موانئ " لندن وبريستول، ولانكستر" ،وبلغ عدد السفن الانجليزية التي تعمل في ما يقارب من مئاتى سفينة و

المنارة للاستشارات

تقرب حمولتها من 48 ألف عبد،وقد تفوق ميناء ليفربول على غيره وقام في عام 1787م بنقل نفس العدد المصدر إلى العالم الجديد، وزادت هذه النسبة بعد ذلك حتى أصبحت سفن هذا الميناء وحده تنقل ما يقرب من ستة أسباع مجموع العبيد(36).

وهناك قصص كثيرة يصعب ذكرها وحصرها عن تلك المعاناة والمعاملة القاسية التي كان يواجهها أبناء القارة ونأخذ مثالا أخر لتلك الأعمال الوحشية لسفينة انجليزية تدعى (زونج Zong) أبحرت سنة1781م في رحلتها عبر الأطلنطي وهي محملة بكامل حمولتها من العبيد ،وعندما أكتشف الربان أن مياه الشرب غير كافية لهذا العدد الذي تحمله السفينة وخوفا من هلاك ركابها فقد تم إلغاء حوالي 132 عبدا في عرض البحر حتى يتمكن من استرداد قيمة الخسارة من شركة التامين وبالفعل تم تعويض السفينة بواقع 32 جنيها إسترلينيا عن كل عبد وذلك على اعتبار أن هذا الرقيق عبارة عن ممتلكات أو متاع لا التضحية به لفقدت كل الشحنة وأيدت المحاكم الأمريكية ذلك وأقرت انه لا تنطبق على أصحاب السفينة أية جريمة من جرائم القتل(37).

ولعلنا نتساءل هنا من هم المستفيدون من تجارة العبيد؟ فنجيب هم :

- الشركات الرأسمالية الأوربية.
- القوى الطبقية المسيطرة داخل أوربا والولايات المتحدة الأمريكية.
- الإرساليات التبشيرية المسيحية.
- أصحاب المزارع والمصانع والمناجم من الأوربيين و الأمريكيين.
- زعماء القبائل من الأفارقة.
- صيادو الزنوج الأفارقة (الجلابة) أو (قناص العبيد) (38).

وفي ختام هذه الدراسة المتواضعة يتحتم علينا أن نتطرق إلى النتائج المترتبة عن هذه التجارة على شعوب المنطقة الإفريقية في مختلف المجالات الحياتية وهي على النحو الآتي :

- حرمان القارة الإفريقية من بعض الكفاءات الثقافية النادرة التي كانت تمتلكها آنذاك،حيث كان من بين العبيد المنقولين إلى العالم الجيد وأوربا طائفة من المسلمين الذين كانوا يتقنون اللغة العربية ويقرؤونها، وقد تحدث " ولبرفورس" Wilbelforce" عن شحنة من الزنوج تشمل 130 فردا من بينهم 25 يكتبون اللغة العربية.ويشهد لذلك أن مكتبة هارفارد تتضمن 5 أو6 مخطوطات عربية لعبيد أفارقة(39).
- أجبرت غرب إفريقيا على تصدير أغلى مواردها الخام (الأيادي العاملة) حيث نقل ملايين الفلاحين والحرفيين للعمل في المزارع والمناجم الأمريكية،وحققوا بذلك أرباحا وثروات ضخمة،ورفاهية لشعوب أوربا وأمريكا.
- نجم عن هذه التجارة استيراد كميات ضخمة من الأسلحة والبارود مما أحدث ثورة في مجال القنص والقبض على الرقيق،وعلى هذا فان الطلب على الأسرى من الرقيق سار جنبا إلى جنب مع الطلب على الأسلحة النارية،وقد ساعد هذا الازدواج

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

على انتشار الحروب والصراع بين القبائل الإفريقية فأحدث دمارا في الإنتاج وفتكا بالقوى البشرية وتشتيتا للسكان،كما أثار الفزع والخوف في نفوس الناس، وعندما بدأ التكالب الاستعماري الأوربي على القارة الإفريقية كان الانقسام والتشتت طابع الجماعات البشرية وهذا ما سهل على الغزاة مهمتهم في السيطرة على أجزاء القارة الإفريقية المختلفة(40).

- أصيبت المجتمعات الإفريقية من جراء هذه العمليات الاستنزاف والحروب المستمرة للهزات عنيفة حطمت العلاقات التي كانت قائمة بين الأفراد والمجتمع وخلخلت النظام القبلي بما كان يفرضه من علاقات بين الأفراد.

- كانت هذه العمليات وبالا على الحضارات الإفريقية، وكما ذكر الكاتب الأمريكي الزنجي" وليم تشانسلور":« هل بعد كل الذي عانته القارة نتيجة تجارة الرقيق لازلنا نتساءل عن السبب في تأخر الأفارقة الحضاري»(41).

- سوء معاملة الرقيق أثناء نقلهم إلى أوربا والعالم الجديد.فكان هؤلاء يعاملون معاملة الحيوانات،فكانوا يقيدون بالسلاسل الحديدية ويحشرون في المراكب وكثيرا منهم توفي بسبب الأمراض والاختناقات وعدم التغذية وكانت جثثهم ترمى في البحر وهم في طريقهم إلى الأراضي الجديدة.وقد امتلأت كتب البحارة بوصف هذه الرحلات الفظيعة أمثال كتابات "دنهام" ،"وبارث" ،"وريتشارد"(42).

- نهب ثروات المنطقة الاقتصادية والقضاء على أي مظهر من مظاهر النشاط الاقتصادي فيها(43).

ولا يسعنا في نهاية هذه الورقة إلا الاستشهاد بالباحث الانجليزي "دافيدسن" حينما يكتب عن تجارة الرقيق التي قام بها الأوربيون فيقول:« لم تكن تجارة العرب للزنوج إلا نكبة خفيفة على أطراف القارة وفي داخلها،ولكنها اتخذت معنى جديدا حين شرعت السفن الأوربية تنقل آلاف الشباب من الداخل والساحل،وتدمي الحياة في القارة والنخاسة أصبحت على يد الأوربيين تجارة أشبه ما تكون بالموت الأسود الذي اجتاح أوربا،فقضى فقضى على ما يقرب من ثلث أهلها، بل أسوأ،لأن النتائج الاجتماعية كانت أشد قسوة من الموت، فالوباء الذي تعرض له الأوربيون انقضى،وانقضت معه أثاره، ولكن القهر الذي تعرض له الإفريقيون والذي عاشوه،لم تكن لتنقضي أثاره،ولم يجتح الموت الأسود أوربا إلا عددا من السنوات، بينما استمرت تجارة الرقيق تحصد السكان حصدا وتهدد معنويات من بقى أكثر من أربعة قرون»(44).

والخلاصة فأن تجارة الرقيق ورواجها من منطقة غرب إفريقيا عبر الأطلنطي قد أدت إلى عملية استغلال منظم لثروات المنطقة لصالح القوى الأوربية والتي تمثلت في استغلال الثروة البشرية، وتبع ذلك عمليات استغلال مستمرة ومنتظمة للثروات والمواد الخام الأخرى بالمنطقة بعد استعمارها وإعادة تشكيل أوضاعها الاقتصادية بما يتلاءم مع الظروف والأوضاع الجديدة وذلك من اجل نهب أكبر قدر من هذه الثروات بأدنى التكاليف،ولقد كان لهذا النهب أثره حتى بعد استقلال دول

المنارة للاستشارات

غرب إفريقية التي لا تزال تعاني لحد اليوم من أثار هذه التجارة على مختلف الأصعدة ﴿45﴾.

الهوامش :

﴿1﴾- جمال زكريا : العرب والرق في إفريقيا،المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم ،تونس،1989م ،ص19.

﴿2﴾- لقد وجد الاسترقاق منذ وجد الإنسان على الأرض،فكان الإنسان القوي يستعبد الإنسان الضعيف،بل ويتخذه رقيقا يخدمه ويسخره ويملكه ويبيعه ويشتريه.وعندما انتشرت الحروب عم الاسترقاق جميع أنحاء العالم وصار المنتصرون يبقون على حياة الأسرى لاستخدامهم في كافة الأعمال المختلفة،وبذلك صار الرق نظاما مسلما به في العالم.انظر: دي.فيج.جي:تاريخ غرب إفريقيا،ترجمة،يوسف نصر،ط1،دار المعارف،القاهرة، 1982م.ص163.

﴿3﴾- خطاب صكار العاني: دور حركات الاستكشاف البحري والحركة التجارية الأوربية في تجارة الرقيق، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم ،تونس،1989م ،ص 90.

﴿4﴾- إن اصطلاح غرب إفريقيا ،والسودان الغربي كلاهما يدل على ما نسميه بمنطقة غرب إفريقيا التي تمتد في القارة من بحيرة تشاد في الشرق حتى ساحل المحيط الأطلنطي في الغرب ،وتقع عند خط عرض 17.9 شمال خط الاستواء على وجه التقريب، وهي جزء من السودان الغربي، والأوسط ،ويمتد السودان الغربي حسب هذا المفهوم من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية،ونقطة ارتكازه هي حوض السنغال، وحوض نهر النيجر الأعلى والأوسط. أي هي أن المنطقة التي تطل غربا وجنوبا على المحيط الأطلسي ،وتحدها الصحراء الكبرى شمالا ، ومن الشرق تتاخم بحيرة تشاد.
انظر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل : دراسات في تاريخ غرب إفريقيا ،مكتبة الإسكندرية ، مصر،1989م،ص5.و الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ،ط1،الدار المصرية اللبنانية،1999 م، ص 19.

﴿5﴾- الخليل النحوي: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة،ط1، دار الغرب الإسلامي ،لبنان،1993م،ص86.

﴿6﴾- في سنة 1471 م حط البرتغاليون على ساحل ما يسمى اليوم بدولة غانا والجزر المقابلة له فوجدوا الذهب بكميات هائلة فاحتكروا تجارته من خلال إنشاء قلعة ضخمة في مدينة "المينا Elmina"وأطلقوا على تلك المنطقة اسم ساحل الذهب.انظر: محمد فاضل وسعيد إبراهيم:المسلمون في غرب إفريقيا،ط1،دار الكتب العلمية، لبنان،2007م .ص ص 155-156.

﴿7﴾- فيصل محمد موسى : موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر،منشورات الجامعة المفتوحة،ليبيا،1997م،ص ص78-79.كان البرتغاليون حينما بلغت البرتغال أوج سلطانها وسيادتها البحرية، أول من قام بعمل الرحلات البحرية الاستكشافية لشواطئ إفريقية الغربية والجنوبية،وكانت تحدوهم في ذلك رغبتان: الأولى محاولة اكتشاف طريق بحري دائري إلى الهند،والثانية محاولة الحصول على الذهب،حيث كانت الأساطير تتركز حول وجود مناجم الغنية في غرب إفريقية.انظر:محمد عبد الله عنان:اكتشاف إفريقيا ومأساة تقسيمها،الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي،ج1،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1995م،ص262.

﴿8﴾- الخليل النحوي: المرجع السابق،ص 87.

﴿9﴾- شوقي عطا الله الجمل: دور المجتمع الغربي في تطور تجارة الرقيق، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم ،تونس،1989م ،ص 37.

﴿10﴾- نفسه.

﴿11﴾- محمد رزوق : دراسات في تاريخ المغرب،ط1،إفريقيا الشرق،1991م، ص8.

﴿12﴾- نفسه،ص9. كانت وسيلة البرتغاليين في تجارة الرقيق أن تتكون الشركة التي عمادها احد الأشراف الذي يستطيع السفر أولا إلى الأملاك الإسبانية في العالم الجديد،أو يستطيع الاتصال بأحد الأشراف الأسبان في إسبانيا، حيث يحصل منه على عقد بتوريد عدد من الرقيق،حتى إذا نجح في ذلك أسرع إلى البلاط البرتغالي ليحصل على مرسوم باحتكار التجارة في منطقة ما من الساحل الإفريقي.وإذا ما انتهى الأمر معه إلى ما يريد أسرع بإرسال عدد من السفن إلى المنطقة التي أرادها، فيبدأ ببناء الحصن ويستخدم عددا من

المنارة للاستشارات

العاطلين وقطاع الطريق والمجرمين البرتغاليين ويتعاقد معهم على أن يعملوا هناك كحامية للحصن.انظر: رياض زاهر استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة ،مصر،1965م،64.

﴿13﴾- يحي بوعزيز: الاستعمار الأوربي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر ،2009م،ص67.

﴿14﴾- محمد رزوق: المرجع السابق،ص 9.

﴿15﴾- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل:دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر،القاهرة،1998م،ص17.

﴿16﴾- نفسه.

﴿17﴾- شوقي عطا الله الجمل:المرجع السابق،ص42.

﴿18﴾- نفسه،ص43.

يرجع إنشاء المراكز التجارية الفرنسية إلى القرنيين السادس عشر والسابع عشر،وقد تعرضت هذه المراكز للمضايقات من جانب البريطانيين،بسب تزعم بريطانيا لحركة مقاومة تجارة الرقيق،ومحاصرة أسطولها لشواطئ الإفريقية في بعض الأحيان لمنع هذه التجارة.انظر: حلمي محروس:تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر،ج1،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية ،مصر ،2004م،ص270.

﴿19﴾- نفسه.

﴿20﴾- شوقي عطا الله الجمل:المرجع السابق،ص43.

﴿21﴾- جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،مصر، ص 181.

﴿22﴾- نفسه.

﴿23﴾- شوقي عطا الله الجمل:المرجع السابق، ص43.

﴿24﴾- نفسه، ص44.

-﴿25﴾un Ancien Diplomate : L'esclavage en Afrique ،letouzey et Ane Editeur،Paris.1890.P8.

-﴿26﴾Gyut،yves: le commerct et le commerç،octave Doin et fils،Paris.1909.P22.

انظر:Henrri، Feuilleret : Mungo Park sa Vie et Ses Voyage،edition.Alvred Mame et Fils.1880.PP122-123.

-﴿27﴾Robert، Cornevin: Histoire de L'Afrique،tome 2،Paris.1966.P367.

﴿28﴾- هوبكنز.ر.ج : التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية،ترجمة أحمد فؤاد بلبع،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،1998م، ص205.

﴿29﴾- يرى بعض الباحثين أن عدد الزنوج الذين اقتنصوا أو أخرجوا من ديارهم لا يقل عن مائة مليون لم يصل منهم سالما إلى أمريكا ويصبح صالحا للعمل في مزارعها أكثر من 8.5 مليون باعتبار أن من كل عشرة زنوج يموت تسعة في البر من جراء الغزوات وفي البحر، وهم مكدسون في قاع السفن وعند وصولهم بعد ما لاقوا من العذاب ألوانا.ويؤكد المؤرخ الزنجي " دوبوا " أن عدد الزنوج الذين وقعوا في أسر القناصة خلال هذه القرون بما لا يقل عن مائة مليون إفريقي.انظر:صبري أبو المجد:ثورة إفريقيا،الشركة العربية للطباعة والنشر،القاهرة،1960م،ص 43.

﴿30﴾- محمد عبد الغني سعودي:قضايا إفريقيا،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1980م،ص ص 80-81.

﴿31﴾- هوبكنز.ر.ج : المرجع السابق ،ص206.

﴿32﴾- عايدة العزب موسى:تجارة العبيد في إفريقيا،ط1،مكتبة الشروق الدولية ،2007م ،ص38.

﴿33﴾- نفسه.ص39.

﴿34﴾- نفسه،ص 38.

﴿35﴾- نفسه،ص39.

﴿36﴾- جلال يحي:المرجع السابق،ص189.

﴿37﴾- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل:المرجع السابق،ص ص 18-19.

المنارة للاستشارات

﴿38﴾- مسعود ظاهر: موقف الرأسمالية من الرق دراسة في المنهج، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم ،تونس،1989م ،ص ص147-148.
﴿39﴾- الخليل النحوي: المرجع السابق،ص ص 88-89.
﴿40﴾- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل:المرجع السابق،ص ص31-32.
﴿41﴾- شوقي عطا الله الجمل:المرجع السابق،ص51.و دنيس بلوم:الحضارات الإفريقية،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت ،لبنان،1974م،ص146.
﴿42﴾- فيصل محمد موسى : المرجع السابق،ص 87.
﴿43﴾- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل:المرجع السابق،ص34.
﴿44﴾- محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق،ص ص83-84.
﴿45﴾- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل:المرجع السابق، ص35.

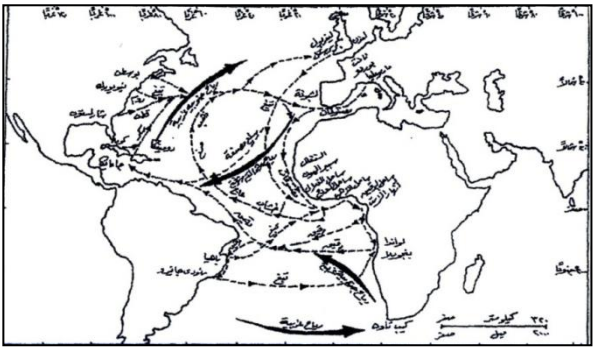

*** خريطة تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي في القرن الثامن عشر**
المرجع: هوبكنز.ر.ج:- المرجع السابق،ص 200.

المنارة للاستشارات